الفصل الخامس

النظم الاقتصادية

الصناعة :-

1- اصحاب الحرف

2-الصناع والعمال

3- الاصناف والنقابات

1- أصحاب الحرف :-

مارس عدد كبير من الناس الحرف والمهن المختلفة التي أحتاج إليها أهل المدن فنجد الوراقين والفصادين ؛والحجامين ؛والاطباء والكحالين ،والجراحين والمجبرين؛والبياطرة،والمنجمين ومؤدبي الصبيان والمؤذنين،وأصحاب الحمامات.وهذه الحرف والمهن تحتاج الى مهارة خاصة وحذق، وفيها مهن علمية تتطلب المعرفة والموهبة كمهنة الاطباء والجراحين والكحالين (اي أطباء العيون).

أما الوراقون فقد قصدوا الامصار العظيمة طلباً للرزق لأنهم عاشوا كما يعيش أصحاب المطابع اليوم عن طريق نشر الكتب ،فكانوا يقومون بالنسخ والتصحيح والتجليد والتذهيب، وكانت مهنة الوراقة رائجة فقد عمد الخلفاء والوجهاء الى الاحتفاظ بعدة نسخ من الكتاب الواحد غيرأن الثقة لم تكن متوفرة دائما في الوراقين لأنهم لم يكونوا في الغالب علماء أو من أهل الرواية ،وانما كانوا أهل حرفة لذلك كثر الطعن فيهم .وقد وصف كثير من الوراقين بحسن الخط وجودة الصنعة وسرعة الكتابة.

حتى راجت مهنتهم وجنوا من ورائها ربحا لأ باس به واتخذهم الكبراء والوجهاء موظفين لديهم، في حين جلس الاخرون في سوق الكتب ببغداد اوغيرها طلباً للرزق،ويذكر احد قضاة قرطبة كان له ستة وراقين ينسخون له دائما، وكان بعض كبار الادباء والعلماء يتخذون لهم وراقاً يختص بهم،فقد كان لأبي العلاء المعري وراقاً نسخ له كتبه بدون أجراة،وكان للجاحظ أكثر من وراق وهكذا .كانت مهنة الطب وما يتفرع عنها مهنة كثيرة الرواج لحاجة المجتمع لها.

وقد عاش كثير من الاطباء عيشة رغيدة أذ قدر لهم أن يعملون في قصور الخلفاء ووجهاء الدولة فقد كان جبرائيل بن بختيشوع طبيب الرشيد يعتبر في مصاف كبار الاثرياء بسبب ماكان ينال من الرواتب السخية والمنح .

وقد راجت مهنة الحجامة والفصادة الذين كانوا يقومون باخراج الدم الفاسد من جسم المريض (هي فصل المكونات الدم في معاجم اللغة العربية كلمة فصد هووقطع العرق حتى يسيل وقيل هواستنزاف الد من العروق وكذلك هو مايعرف حاليا التبرع بالدم اوسحب الدم وقيل يعود اصلها الى كلمة يونانية قديمة وتعني ابعاد).

وفي مجتمع اهتم بالنظافة أهتماماً كبيراً باعتبارها من لوازم الدين ،كثرت الحمامات في المدن وبخاصة في بغداد،وقد كون أصحاب الحمامات فئة مهمة بين أصحاب المهن ،وقد كان في كل حمام (معلم) وهوصاحبه يجلس عادة في غرفة بعد المدخل على مصطبة مغطاة بالمفارش او السجاجيد وكان تحت إمرة المعلم خدم ومدلكون لخدمة الزبائن ونحن نجد كثيراً من التفاصيل عنهذه الحمامات في كتب الادب ودواوين الشعراء ومؤلفات الرحالة الذين طالما ابدوا دهشتهم من كثرة الحمامات وكثرة العاملين فيها .

الصناع والعمال :

احتل الصناع والعمال مركزهم المهم في المجتمع العربي الاسلامي نتيجة التطور الاقتصادي ونمو الصناعة في المدن،وبسبب تحسن النظرة الاجتماعية الى العمل اليدوي ،فقد نظر المجتمع الى الصناع نظرة تقدير عالية جداً، ويرى الغزالي ان حصول الانسان على معاشه في هذه الدنيا أمر لا بد منه للحصول على الحياة السرمدية في الدار الاخرة ويقول :"إن الاسواق موائد الله وكل من زارها أصاب منها ،ولا يعفي من واجب أكتساب الرزق بكد اليدين او من طريق التجارة إلا الزاهد والصوفي والعالم والموظف ".

وكان العمال قد أحترفوا مهناً وصنائع مختلفة كانوا يختارونها بأنفسهم وكثيرا ما كان الابناء يحترفون حرفة آبائهم ،وكان العمال يشتغلون بأجور يومية او في محلات خاصة والغالب أنهم كانوا يجعلون من بيوتهم محلات للعمل ،ويبدو ان الاجور كانت تحدد بالاتفاق بين صاحب العمل والعامل وكان المحتسب مسؤولاً عن تنظيم العلاقة بين العمل وعماله وحل الخلافات التي تقوم بينهما .

وكان الصناع يتدرجون في الحرفة فكل صانع له أستاذ يتعلم منه صنعته ، كما أن الاستاذ تعلم من قبل على يد استاذ آخر ، وكان اول السلم في حرفة الصناع "المبتدئ" الذي يتعلم الصنعة ثم الخليفة الذي تكون مرتبته دون مرتبة الاستاذ ،وفوق هؤلاء جميعاً رئيس الصنعة او شيخ الصنف ".

كانت اجور العمال مختلفة ،فقد تقاضى عامل في حانوت نصف درهم في اليوم بالاضافة الى كسوتة وغذائه ،غير أن هذه الاجور كانت تزيد حسب رغبة صاحب

العمال،وكانت أجرة عامل الحفر ثلاثة دراهم في اليوم ،واجرة الحداد خمسة دراهم يومياً،وأجرة عامل الحمام خمسة دراهم يومياً.

والعمال طائفتان :

الاولى هم الاجراء الذين يعملون لحساب غيرهم لقاء اجور يومية او عن القطعة،وهؤلاء قد يعملون في دكاكين او يعملون في بيوتهم مستخدمين ادوات عمل يمتلكونها ومواد أولية يشترونها اويزودهم بها رب العمل الذي يستأجرهم ، وقد ذكر أن يومية الزجاج في نهاية القرن الثالث الهجري كانت درهماً ودانقين (الدانق سدس الدراهم)أو درهماً ونصف .

أما الطائفة الثانية فهم الصناع المستقلون الذين يعملون لحسابهم الخاص وهؤلاء يعملون في دكاكين او في بيوتهم يساعدهم أولادهم الذين يرثون الحرفة منهم وكان هؤلاء أحسن حالاً من ناحية الدخل لأنهم مستقلون ويمتلكون أدوات العمل ورأس المال الذي قد ينمو على مر الايام إذا حالفهم الحظ وكانوا ذوي كفاءة .

وفيما يلي نذكر اهم طوائف العمال والصناع في المجتمع العربي الاسلامي :-

1- **البناؤون** :- ويعرف ابن خلدون(المقدمة ص406) صناع البناء بأنهم اول صناع العمران الحضاري واقدمهم ،وصناعة البناء هي العمال في أنجاز البيوت والمنازل للسكن في المدن والاسواق والمساجد،وكانت مواد البناء الحجارة والكلس والجص والطين والخشب ، كان صناع البناء مهرة لا بد لهم من معرفة الهندسة .وكان يعاون أساتذة البناء المعماريين عمال غير نهرة ونجارون وغيرهم.
2- **النجارون** :- وحرفتهم تحتاج الى المهارة ومادتها الخشب وكان النجارون يقومون بصنع السقوف والابواب والكراسي ،والمراكب.
3- **الحاكة والخياطون** :- ويعتبر ابن خلدون (المقدمة ص411)حرفتهم ضرورية للعمران وكان الحاكة ينسجون الغزل من الصوف والكتان والقطن ،أما الخياطون فيصنعون الأكسية ومنها ثياب القطن والكتان والحرير ،وكان هؤلاء يستعينون بعمل أو اكثر يعملون تحت أشراف الاستاذ لقاء اجور، فكان العامل يحصل على درهمين لقاء خياطة القميص .
4- **الطحانون** :- الذين يعملون في المطاحن الكثيرة في مختلف المدن العربية الاسلامية او في البيوت حيث استخدمت الرحي التي كانت تصنع من حجر خاص غالي الثمن حتى بلغ سعر الحجر الواحد المجلوب من (آمد) خمسين ديناراً في العراق .

5- **السقاؤون :-** وهم فئة ضخمة كان عملهم يقوم على حمل الماء النقي الصالح للشرب من الانهار لأستعماله في البيوت وكان السقاؤون يحملون الماء بالقرب او الروايا (ثلاثة جلود يحمل فيها الماء)على البغال .

الاصناف والنقابات :-

ظهرت الاصناف نتيجة التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت نمو المدن العربية الاسلامية في العصر العباسي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وقد قامت هذه الاصناف او النقابات في المدن الرئيسة في العراق والشام ومصر وولايات المشرق والاندلس.

ان التقدم الاقتصادي منذ القرن الثالث صاحبه تكدس رأس المال وتجمع العمال وكان الفضل في تكدس رأس المال وتركزه يرجع الى ارتقاء النظام الصيرفي العربي الاسلامي وكثرة العملة الذهبية والفضة مما ساعد على نشاط التبادل الاقتصادي .مثلت الاصناف والنقابات في المجتمع الاسلامي منذ نشأتها ملامح أجتماعية جديدة .والواقع هو أن الاصناف والنقابات ظهرت كرد فعل للاحوال الاقتصادية الجديدة ،وكمحاولة أهل الحرف والعمال لتحسين مستواهم المعيشي .

لقد اعترفت الدولة العربية الاسلامية بشرعية الاصناف والنقابات حتى نجد انها ذات استقلال في القاهرة في فترة حكم الفاطميين ،وان النقابات عندما نبثقت كانت حرة وشعبية وظلت تحمل الطابع الديمقراطي في تنظيمها في عصور ازدهارها بعكس ماكانت في المغرب في العصور الوسطى حيث كانت النقابات طبقية، لذلك كانت العضوية قد حصرت في فئات معينة من السكان .

وقد استحدثت عدة مصطلحات مختلفة للدلالة على النقابة العربية الاسلامية اشهرها "صنف".وكان واجب النقابة أو الصنف تنظيم الحرفة ورعاية مصالح أعضائها والمحافظة على أسرار الحرفة وتحديد الاسعار والحفاظ على مستويات الصنعة .وكانت كل نقابة او الصنف تتكون من رئيس يدعى المعلم وخلفاء وعمال (صناع) ومبتدئين .وعندما يرتقي المبتدئون ليصبحوا معلمين يجري لهم اجتفال خاص ترافقه شعائر طقوس معينة يتلوها أداء القسم ثم وليمة خاصة .

اما النقيب او(الامين او العريف)فكان يختار من بين أعضاء النقابة برضى المحتسب وموافقته ،وقد يقوم المحتسب بتعيين هذا النقيب وكان النقيب يتمتع بصلاحية واسعة وسلطة على الاعضاء ،اما في المسائل المهمة كتحديد الاسعار فكان عليه ان يستشير المحتسب، اما النقيب فهو رئيس النقابة يعمل كممثل اها في جميع الشؤون العامة .كما أنه يعتبر حكماً في الخلافات بين الاعضاء .غير ان الخلافات بين نقابتين كانت من مهمات القاضي .

كـان لكـل نقابـة تعليمـات مكتوبـة تنظمها،وصـار لكـل حرفـة شـعارات ومراسـيم يتمسك بها أفراد النقابة ويطيعونها، واعتز أبناء كل صنف بالنقباء العـرب المسـلمين واعتبروهم حماة ورعاة لهم ،وكانت من الامور المستحبة أنتقـال الحرفـة مـن الآبـاء الى الابناء .

وعلى الرغم من ان النقابات العربية الاسلامية لم تكـن ذات نفـوذ سياسـي، الا ان بعضها كانت عناصر سياسـية نشـيطة ولهـا محـاكم خاصـة بهـا مثـل نقابـة (جهابـذة الحضـرة)التي لعبـت دورا كبيـرا فـي الاحـداث السياسـية بـين الاعـوام مـن (296-329هـ)/(908-940م).وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر المـيلادي) تبنـت هذه النقابات أخلاقيات ومراسيم جمعيـات الفتـوة والتـي أتبعـت فـي عضـويتها نظـام أنتماء وتدرج دقيق.